

محطاتُ عاشورائية: استشهاد عزيزة الإمام الحسين (عليهما السلام) على رأس أبيها



نُقل عن بعض المؤرّخين أنّ عائلة الحسين(عليهم السلام) وأرامل آل محمد(صلّى الله عليه وآله) بعد قتل رجالهنّ يوم الطفّ، وسبيهنّ من بلدٍ إلى بلد، كانوا يُخفون على صغار الأطفال واليتامى قتل أوليائهم وآبائهم، فإن بكى يتيمٌ أو يتيمةٌ أباه أو أخاه ناغوه باللطف، وأخبروه بأنّه في سفر وسوف يعود من سفره! فكانوا بهذا ونحوه يُشغلون اليتامى والأطفال عن الشعور بألم اليتم ومرارة المصاب.

وكانت لمولانا الإمام الحسين(عليه السلام) بنتٌ صغيرة يحبّها وتحبّه، كانت تسمّى (رقيّة) وكان لها من العمر ثلاث أو أربع سنوات. ومن يوم استشهادها ما عادت تراه، فعظم ذلك عليها واستوحشت لأبيها. وكانت مع الأسرى في الشام، وكانت تبكي لفراق أبيها ليلاً ونهاراً، وكان أهلها كلّما طلبته يقولون لها: هو في السفر، وغداً يأتي ومعه ما تطلبين.

إلى أن كانت في ليلة من الليالي قد رأت أباه في نومها، فلمّا انتبهت صاحت وبكت وانزعجت، وقالت: ائتوني بوالدي وقرّة عيني، فإنّي رأيت الساعة في المنام مضطرباً شديداً، وكلّما حاول أهل

البيت(عليهم ﷺ) إسكاتها ازدادت حزناً وبكاءً . فعظم ذلك على أهل البيت(عليهم ﷺ) السلام) ، فضجوا بالبكاء وجدوا الأجزان، ولطموا الخدود وحثوا على رأسهم التراب، وقام الصياح.

فانتبه يزيد (لعه ا) من نومه، وقال: ما الخبر؟. قالوا: إن بنت الحسين الصغيرة رأت أباها في نومها، فانتبهت وهي تطلبه وتبكي وتصيح.

فلمّا سمع يزيد ذلك قال: ارفعوا رأس أبيها، وحطّوه بين يديها، لتنظر إليه وتتسلّى به، فجاءوا بالرأس الشريف إليها في طبقٍ مغطّي بمنديلٍ ديبقي، ووضعوه بين يديها فقالت: ما هذا؟ إنّي طلبت أبي ولم أطلب الطعام!. فقيل لها: إنّ هناك أباك فرفعت المنديل ورأت رأساً، فقالت: ما هذا الرأس؟. قالوا لها: إنه رأس أباك فرفعته من الطست وضمتّه إلى صدرها وهي تقول:

يا أبتاه من ذا الذي خصّيك بدمائك؟.

يا أبتاه من ذا الذي قطع وريدك؟.

يا أبتاه من ذا الذي أيتمني على صغر سنّي؟.

يا أبتاه من بقي بعدك نرجوه؟.

يا أبتاه من لليتيمة حتى تكبر؟.

يا أبتاه من للنساء الحاسرات؟.

يا أبتاه من للأرامل المسبيّات؟.

يا أبتاه من للعيون الباكيات؟.

يا أبتاه من للصائعات الغربيات؟.

يا أبتاه من بعدك وا خيبتنا!.

يا أبتاه من بعدك وا غربتنا!. يا أبتاه ليتني كنت لك الفدى.

يا أبتاه ليتني كنت قبل هذا اليوم عمياً.

يا أبتاه ليتني وسدت الثرى، ولا أرى شيبك مخضّباً بالدماء.

ثم إنَّها وضعت فمها على فمه الشريف، وبكت بكاءً شديداً حتّى غُشي عليها فلمّا حرّكوها فإذا بها قد فارقت روحها الدنيا.

فلمّا رأى أهلُ البيت(عليهم السلام) ما جرى، ارتفعت أصواتُهم بالبكاء، وتجدّد الحزن والعزاء، ومن سمع من أهل الشام بكاءهم بكى. فلم يُرَ في ذلك اليوم إلا باكٍ وباكية.

وكان ذلك في الخامس من شهر صفر سنة (61هـ)، ودُفِنَت في المكان الذي مات فيه وعمرُها ثلاث سنوات أو أربع أو أكثر من ذلك بقليل -على اختلاف الروايات-، ويقع قبرُها الشريف على بعد مائة متر أو أكثر من المسجد الأمويّ في دمشق في باب الفراديس بالضبط، وهو بابٌ مشهورٌ من أبواب دمشق الشهيرة والكثيرة وهو قديم جدّاً.